

مطالعات في تاريخ العلوم في العصر الأموي

د. أحمد سليم عريان

عميد كلية العلوم - جامعة القدس

يلم بعض الباحثين الإمامة عاجلة بتاريخ العلوم في العصور الإسلامية ، فيخرجون أحيانا بانطباعات خاطئة ، ومنها قد يقفزون الى أستنتاجات وأحكام مبنية على الخطأ . ولا يخفى الخطأ على المتخصصين الذين يتوفرون على دراسة العلوم الإسلامية دراسة مقارنة ، وتبين مراحل تطورها ، بأصالة وموضوعية . ولكنهم قلما أتيج لهم التنبيه الى الخطأ ، الا بعد فوات الاوان . فاذا ما حاولوا تصحيحه ، ذهبت محاولتهم كصيحة في واد ، اذ ما نفع بحث يشتر في مجلة محدودة القراء ، في تصحيح وهم درج الناس على التسليم بصحته ، مذ انفرد الغرب برسم مناهج تعليمنا ، والاشراف على تكوين بنيتنا الثقافية ؟

من هنا تأتي أهمية كتابة التاريخ الاسلامي من جديد ، باقلام اسلامية متفتحة واعية ، وبقينا ان اللجان التي ستوكل اليها هذه المهمة ستعطي تاريخ العلوم في الاسلام اهتماما خاصا ، ذلك ان المصادر التي استقينها منها معلوماتنا ، في سني الطفولة والشباب ، عن تاريخ العلوم في العصور الإسلامية ، ظلمت الفكر الاسلامي ، عن عمد أو عن جهل ، اذ ضخمت من قيمة الفكر الاغريقي من قبله ، والفكر الاوربي الغربي من بعده ، فبقي مكانه فيها على الهامش .

وفي هذه الصفحات ألفت الانظار الى واحد من هذه الاوهام التي اشير اليها ، وهو الزعم بان تاريخ العلوم في الاسلام يبدأ بالعصر العباسي .

طلائع الحركات العلمية في الاسلام :

قد لا يلام القارئ العجلان اذا سلم بأن الحركة العلمية في الاسلام انما بدأت في العصر العباسي ، فهذا ما يوحى به أوثق ما لدينا من مصادر عربية عن طلائع المسيرة العلمية الاسلامية ، وأعني بذلك كتاب الفهرست ، لابن النديم ، وقد فرغ منه مؤلفه في أواخر القرن الرابع الهجري .

ففي الفهرست (الصفحة ٣٥٣ ، طبعة القاهرة) نقرأ ، تحت عنوان « ذكر السبب الذي من أجله كثرت كتب الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة في هذه البلاد » أن من أوكد الاسباب أن الخليفة المأمون رأى ارسطو في منامه ، شيخاً مهيباً ينطق بالحكمة ، فدفعه ذلك الى النظر في الكتب القديمة بحثاً عن هذه الحكمة ، « وكان بين المأمون وملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون ، فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ، المدخرة ببلد الروم ، فأجاب الى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلما صاحب بيت الحكمة ، وغيرهم فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه ، أمرهم بنقله ، فنقل » .

وابن النديم ينقل عما توافر له من مصادر لم تصل إلينا ، ولكن كأنه هنا قد استبعد ، في قرارة نفسه ، أن يكون سبب تلك الثورة العلمية التي غمرت العالم الاسلامي في عصر المأمون ، مجرد حلم رآه المأمون ، ولكنه كفى نفسه مغبة طرح الرأي باعطاء الحقائق للقارئ المتاني الواعي ، كاملة ، فهو يستطرد فيذكر أن غير المأمون ، من معاصريه ، كانوا أيضاً يحرصون على جمع الكتب ، ونقلها فهاهم أحمد ومحمد والحسن ، أبناء موسى بن شاكر المنجم ، « بذلوا الرغائب ، وأنفذوا حنين ابن اسحق ، وغيره ، الى بلد الروم ، فجاءهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات ، في الفلسفة والهندسة والموسيقى والارتماطيقى والطب » . ويضيف ابن النديم نقلاً عن أبي سليمان المنطقي السجستاني « أن بني المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة ، منهم حنين بن اسحق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة ، وغيرهم ، في الشهر نحو خمسمائة دينار ، للنقل والملازمة » . وكان هذا يومئذ ثروة تربو على مليون دينار في هذه الايام .

ويضيف ابن النديم ان قسطا بن لوقا البعلبكي حمل معه شيئا ، فنقله
او نقل له .

ثم كان ابن النديم قد استبعد ان يتأخر النشاط العلمي في الاسلام ،
زهاء قرنين من الزمان ، حتى يبدأ انطلاقته في عصر المأمون ، وقد تولى الخلافة
من ١٩٨ الى ٢١٨ هـ ، فيذكر ان ابا جعفر المنصور أيضا قد أمر بنقل التنجيم
الهندي الى العربية منذ سنة ١٥٤ حين جاءه وفد من الهند وفيه منجم يحمل
أعظم كتاب هندي في الفلك والتنجيم . ويضيف أن الفرس قد نقلت في القديم
شيئا من كتب المنطق والطب الى اللغة الفارسية ، فنقل ذلك الى العربية عبد الله
بن المقفع ، وغيره . وابن المقفع عاصر أواخر العهد الأموي ، وقتل بتدبير من
أبي جعفر المنصور .

ولا ينسى ابن النديم أيضا ان يذكر ان خالد بن يزيد ، المتوفى سنة ٨٥
أو ٩٠ هـ ، في أواسط العهد الأموي ، قد نقل له في مصر كتب في الصنعة *
والطب ، وذلك هو أول نقل في الاسلام .

تري ان ابن النديم يبعثر الحقائق في ثنايا كتابه القيم ، ويترك استنتاج
النتائج للقارئ المتاني . الا ان قراء قراؤه وهم في عجلة من أمرهم ، فسلموا
بان الحركة العلمية في الاسلام انما بدأت في العصر العباسي ، وأوقعهم ذلك في
مشاكل لم يجدوا لها جوابا . من ذلك : كف نفس أن فيلسوف العرب ، يعقوب
بن اسحق ، الكندي ، قد استوعب الفلسفة اليونانية ، من قبل ان تنقل هذه
الفلسفة الى العربية ، وكيف نفسر ظهور ملامح واضحة من التأثير بنحو اللغة
اللاتينية من أيام أبي الاسود الدؤلي الذي يقال انه وضع قواعد اللغة امثالا
لأمر تلقاه من الامام علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه .

ليس بدعاً في التاريخ أن يظلم العباسيون العصر الأموي ، فيغمطوه
حقه ، فهذه هي خليات السياسة ، من قديم الزمان . ولكن يبدو ان التاريخ
أقوى من الناس الذين يصنعونه ، فمهما حاول جيل أن يخفي أمجاد جيل سبقه
ويطمس معالمها ، يبقى من تلك المعالم رواسب بها يستعيد المؤرخ بعض ما طمس
أو جله . ورواسب الامجاد الاسلامية قبل العصر العباسي هي التي نستقرئها
الآن .

* « الصنعة » هي الاسم العربي القديم للكيما (Alchemy) أي الكيمياء القديمة ،
تميزا لها عن علم الكيمياء الحديث (Chemistry)

وأول ما يطالعنا من ذلك اقرار التأريخ الاسلامي بأمر الفاروق عمر رضي الله عنه اذ رأى ان تكون سنة الهجرة هي بدء التأريخ الاسلامي ، فكان ذلك يوم الجمعة في ١٦ تموز/يوليو من سنة ٦٢٢ م .

وغني عن البيان ان هذا دليل على ان الامة بدأت تشعر انها دخلت التاريخ وشرعت تصنعه . انها اليوم غيرها بالامس ، فلتسجل اذن احداثها في سجل جديد .

والتسجيل يعني الكتابة ، والكتابة مادتها الورق ، وقد كان العرب يكتبون في اكتاف الابل ، والخاف ، وهي الحجارة الرقاق البيض ، وفي عشب النخل ، وكان اقباط مصر ما يزالون يصنعون القرطاس من لحاء نبات البردي ، وكان الصينيون يصنعون الكاغد من حشائش يكثر نموها في بلادهم . فصنع في خراسان من الكتان ورق على غرار الكاغد الصيني ، وذلك هو الورق الخراساني .

واذا كان الورق الخراساني لم يصنع على نطاق واسع قبل العصر العباسي ، فان الامويين ، قد توافر لهم الكاغد والقرطاس والادم ، مواد للكتابة ، حتى الحرير صنعوا منه ورقا للمصاحف . فماذا عن الكتابة ذاتها ، أعني الحروف والخط ؟

عندما كانت تدعو الحاجة للكتابة في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان زيد بن ثابت واكثر كبار الصحابة ، رضي الله عنهم ، يكتبون . ويقول ابن النديم ان اول الخطوط العربية هو الخط المكي ، وبعده المدني . ولكن مع اتساع رقعة الدولة وتزايد الحاجة الى الكتابة وتبادل الرسائل ، كان لا بد من تنظيم الكتابة ، وهذا ما حدث في أيام بني امية ، ويقال ان اول من كتب في العصر الاموي هو قطبة ، وهو الذي « استخرج الاقلام الاربعة » واشتق بعضها من بعض ، اما اول من كتب المصاحف فهو خالد بن ابي الهيلة ، وكتب للوليد بن عبد الملك ، ويوصف بحسن الخط . وللحجاج بن يوسف الثقفي يعزى الفضل في وضع الحركات على الحروف .

واللغة لا بد لها من قواعد تضبطها ، ويعزى ذلك في المصادر العربية الى ابي الاسود الدؤلي ، ويقال انه شرع بوضع قواعد اللغة بأمر من علي كرم الله وجهه . الا ان مدرستين تكونتا لوضع قواعد اللغة هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، وكان من رجال مدرسة البصرة ابو الاسود والخليل بن احمد

الفراهيدي ، وكان من رجال مدرسة الكوفة عبد الله بن مسعود ، والشعبي الذي تعلم أبو حنيفة عليه . في هاتين المدرستين وضعت قواعد اللغة والفقه ورسمت مناهج وضع المعاجم .

أما وقد توافرت المقومات الأولية التي بدونها لا تكتب اللغة ، فلم يكن بد من تعريب الديوان . ونعني بذلك سجلات الدولة ولغة المعاملات الرسمية ، وقد كان الديوان روميا في سوريا ، بهلويًا في العراق وفارس . لقد ترك الفتح الإسلامي ، أول الأمر ، ديوان كل قطر ، باللغة التي كان عليها قبل الفتح . ولكن إذا جاز هذا الترتيب في بادئ الأمر ، فلا يجوز أن يدوم طويلا . ولقد نقل الديوان الفارسي إلى العربية في أيام الحجاج ، وعن ذلك يحدثنا الفهرست (الصفحة ٣٥٢) فيقول : « والذي نقله صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم ، وكان أبو صالح من سبي سجستان ، وكان يكتب لزاد أنفروخ بن بيري ، كاتب الحجاج ، يخط بين يديه بالفارسية والعربية ، فخف على قلب الحجاج .

فقال صالح لزاد أنفروخ : أنك أنت سببي إلى الأمير ، وأراه قد استخفني ، ولا آمن أن يقدمني عليك وأن تسقط منزلتك .

فقال : لا تظن ذلك . هو إلى أحوج مني إليه ، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري .

فقال : والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته .

قال : فحول منه أسطرا حتى أرى !

ففعل . فقال له : تمارض ! فتمارض ، فبعث الحجاج إليه تبادورس طبيبه . فلم ير به علة . وبلغ زاد أنفروخ ذلك ، فأمره أن يظهر .

واتفق أن قتل زاد أنفروخ في فتنة ابن الأشعث ، وهو خارج من موضع كان فيه ، إلى منزله . فاستكتب الحجاج صالحا مكانه . فأعلمه الذي كان جرى بينه وبين صاحبه في نقل الديوان . فعزم الحجاج على ذلك ، وقلده صالحا ، فقال له مراد شاه ، ابن زاد أنفروخ ، كيف تصنع بدهويه وششويه ؟ قال : أكتب « عشرا ونصف عشر » .

فقال : كيف تصنع بويد ؟

قال : أكتب « وأيضا » . (قال : الويد : النيف ، الزيادة تزداد) .

فقال له : قطع الله اصلك من الدنيا كما قطعت اصل الفارسية .
وبذلت له الفرس مائة الف درهم على ان يظهر العجز عن نقل الديوان ،
فأبى الا نقله ، فنقله .
فكان عبد الحميد بن يحيى يقول : لله در صالح ! ما أعظم منته على الكتاب .
« وكان الحجاج أجله أجلا في نقل الديوان » .
القصة مؤثرة ، تنطق بالصدق . ولكن ما تصفه انما هو الشرارة التي
اطلقت المارد من عقاله . اما المارد فنستطيع ان نقدر انه كان أمنية في بال كل
عربي مسؤول ، ينتهز الفرصة لتحقيقها .

وقد تحققت الامنية في فارس والعراق بأمر من الحجاج . اما في الشام
« فكان الديوان بالرومية ، والذي كان يكتب عليه سرجون بن منصور ، لمعاوية
بن ابي سفيان ، ثم منصور بن سرجون . ونقل الديوان في زمن هشام بن عبد
الملك ، نقله ابو ثابت ، سليمان بن سعد ، مولى حسين ، وكان على كتابة
الرسائل أيام عبد الملك . وقد قيل ان الديوان نقل أيام عبد الملك ، فانه أمر
سرجون ببعض الامر ، فتراخى فيه ، فأحفظ عبد الملك ، فاستشار سليمان ،
فقال له : انا أنقل الديوان ، وآرتجل منه » .



اول الفيت :

في موسم الامطار ، اذا انخفضت درجة الحرارة وارتفعت درجة الرطوبة،
وتلبدت السماء بالسحب وجاءت النذر بهبوب رياح باردة ، قلنا ان كل ذلك
مقدمات لنزول المطر . الا ان المطر قد يبدو كأنه يأتي مع مقدماته ، بل يكاد
يسبقها ، وهذا ما حصل في العالم العربي . فلم يتدرج الامر من ضبط لقواعد
الخط فقواعد اللغة فتعريب للدواوين ، فنقل للعلوم فدراسة لها فانتاج ، وانما
تداخلت هذه الخطوات بعضها ببعض حتى ليبدو ان الدراسة والانتاج قد سبقا
النقل أو زامناه .

فاذا بدا هذا مخالفا للمعقول ، اذ قلما يتم انتاج فكري ذو قيمة دون
دراسة وخبرة وتدبر ونضوج ، فلنتذكر ولنذكر أن البلاد الاسلامية لم تبدأ
من الصفر . اللغة العربية القرشية كانت كالطائرة على عالم الفكر ، وأعراب

الجزيرة كانوا كالتارئين على عالم الحضارة ، اما سائر العالم الاسلامي فكان ذا حضارات عريقة موصولة ، يدل على حاضرها الراهن مدارس في الاسكندرية وانطاكيا وحران وجنديسابور . اساتذة هذه المدارس وخريجوها هم الذين حفظوا ، من قبل الاسلام ، الخيط الذي ربط ماضيها بحاضرها ، وهم الذين زودوا البلاد بما لا غنى لها عنه ، من اطباء ومنجمين وعلماء . وهم الذين كانوا في صدر الاسلام علماء الدولة واطباءها الذين تولوا نقل الفكر العالمي الى العربية . لا ينقص من دورهم هذا انهم لم يكونوا عباقرة ، ولا من كبار العلماء او المؤلفين .

كانت الغالبية العظمى من هؤلاء من السريان . والفهرست يذكر اسماء عشرات من النقلة ، منهم قلة من الفرس والهنود ، وسائرهم من السريان .

من خريجي هذه المدارس ، ابان ظهور الاسلام ، كان اصطفان الاسكندري وقد عمل في شرح فلسفة ارسطو ، ووضع كتباً في الطب والكيمياء ، لعلها هي التي لفتت نظر خالد بن يزيد فعلم على ترجمتها .

وكان منهم يعقوب الرهاوي مطران الرها ، وكان لغويّاً وضع قواعد النحو السرياني وجعل ابجدية السريانية ٣٦ حرفاً منها سبعة أحرف علة . ولقد توفي هذا الرهاوي سنة ٩٠ للهجرة ، وعاصر ابا الاسود الدؤلي ، وخالد بن يزيد .

وكان منهم ايضاً اهرّون القس ، وقد وضع بالسريانية كنائشاً وكتاباً في الطب ، ونقل كتابه الى العربية سنة ٦٤ هجرية .

وكان منهم يحيى الدمشقي ، وكان مسؤولاً عن مالية الدولة ابان الحكم الاموي ، ثم اعتزل الخدمة ، وعاش في دير مارسابا ، في أبو ديس ، بجوار القدس ، وهناك وضع كتاب ينبوع الحكمة ، وفيه يقارن المسيحية بالعقائد الاخرى ، ومنها الاسلام . وقد توفي يحيى الدمشقي في اوائل العصر العباسي .

ويذكر فللينو في كتابه : علم الفلك عند العرب ، ان مما ترجم في العصر الاموي كتاباً في احكام النجوم تمت ترجمته سنة ١٢٥ هـ .

وكان من اساتذة هذه المدارس وخريجها عرب من الجزيرة العربية . من هؤلاء عبد الملك بن ابجر ، الكتاني . وكان طبيباً معلماً في مدرسة الاسكندرية الى ان نقل تدريس الطب منها الى انطاكيا وحران ، لتوسطهما في ديارالاسلام ، وذلك في ايام الوليد الثاني .

ومن هؤلاء ايضاً الحارث بن كلدة ، الثقفي . وقد جرى بينه وبين ملك الفرس ، على ما تذكر المصادر العربية حوار لا يخرجنا ايراده عن الغاية التي

نرمي اليها ، وننقله هنا من عيون الانباء في طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة (الصفحة ١٦٢ ، طبعة بيروت) :

« وفد على كسرى أنو شروان ، فلما اذن له بالدخول ، وقف بين يديه منتصباً :

فقال له : من أنت

قال : انا الحارث بن كلدة الثقفي .

قال : فما صناعتك ؟

قال : الطب .

قال : اعربي أنت ؟

قال : نعم . من صميمها وبحبوحة دارها .

قال : فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها ، وسوء أغذيتها ؟

قال : ايها الملك : اذا كانت هذه صفتها ، كانت أحوج الى من يصلح جهلها ، ويقوم عوجها ، ويسوس أبدانها ، ويعدل أمشاجها ، فان العاقل يعرف ذلك من نفسه ، ويميز موضع دائه ، ويحترز من الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه .

قال كسرى : فكيف تعرف ما تورده عليها ، ولو عرفت الحكم لم تنسب الى الجهل ؟

قال : الطفل ينأغى فيداوى ، والحية ترقى فتحاوى . ثم قال :

ايها الملك : العقل من قسّم الله تعالى ، قسمه بين عباده ، كقسمه الرزق فيهم ، فكل من قسمته أصاب . وخص بها قوم ما زاد ، فمنهم مثر ومعدم ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العليم .

قال كسرى : فما الذي تحمد من أخلاقها ، ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟

قال الحارث : ايها الملك : لها أنفُس سخية ، وقلوب جرية ، ولغة فصيحة ، والسن بليغة وانساب صحيحة ، واحساب شريفة ، يمرق من أفواههم الكلام مروق السهم من نبعة الرامي ، أعذب من هواء الربيع ، وألين من سلسيل المعين ، مطعمو الطعام في الجذب ، وضاربو الهام في الحرب ، لا يرام عزهم ، ولا يضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل كريمهم ، ولا يضرون بفضل للأنام ، الا للملك الهمام ، الذي لا يقاس به أحد ، ولا يوازيه سوقة ولا ملك . »

ان لم يكن مثل هذا الحوار قد وقع فعلا بين الحارث والملك ، فقد كان يمكن ان يقع بين اي عربي واي فرد غير عربي ، سرياني او فارسي او هندي في ديار الاسلام .

واذا كان كل ما عمله السريان والفرس والهنود ، من نقل في العصر الاموي ، هذا الذي نعرف ، فلا ريب انه قليل . انه اول الفيث ، ولكن لعل ما لا نعرف اكثر واغزر مما نعرف . الا ان اثر هؤلاء السابقين في تلقيح الافكار بالحوار اوسع واعمق . فيحىي الدمشقي ، الذي عمل طويلا على مالية الدولة في دمشق ، ثم اعتزل في دير مار سابا ليكتب عن البدع ، لم يدفعه الى ذلك الا ما كان يجري بينه وبين المسلمين من حوار .

وسواء كانت المحاورات ودية او عدائية ، موضوعية او شخصية ، هادئة او صاخبة ، فقد كانت سبيلا منها وصلت المذاهب الفلسفية الى الفكر الاسلامي ولنذكر ان واصل بن عطاء ، شيخ المعتزلة قد توفي قبل ظهور الدعوة العباسية بسنتين .

فليس غريباً اذن ان يظهر في الاسلام فلاسفة من امثال الكندي والفارابي من قبل ان ينقل الفكر اليوناني والروماني كله الى العربية ، فهو وان لم ينقل ، كان هنالك في المدارس ، وكان هنالك من فهم بعضه على نحو ما .

وليس غريباً ايضاً - في تقديري - ان تحمل بواكير أعمال البصرة والكوفة دلائل تأثر بلغة لم يبدأ تأثر العرب المباشر بها بعد ، فان لم يكن رواد مدرستي البصرة والكوفة قد الموا بقواعد اللاتينية او اليونانية ، فقد تتلمذوا على من اتقنوها ، في مدارس الرها وحران ونصيبين وجنديسابور وانطاكية والاسكندرية . وان لم يكونوا قد تتلمذوا عليهم مباشرة ، فلعلهم دخلوا معهم في حوار علمي او جدلي .



وأول كتاب عربي في التاريخ وضع في الاسلام انما وضع في أيام معاوية وبأمر منه ، فقد استدعى معاوية عبيد ابن شريّة ، من صنعاء اليمن « فسأله عن الاخبار المتقدمة ، وملوك العرب والعجم ، وسبب تبلبل اللسنة وأمر افتراق الناس في البلاد ، فأجابه الى ما طلب ، فأمر معاوية أن يدون وينسب الى عبيد ابن شريّة (الفهرست ، الصفحة ١٣٨) . وينسب الفهرست لعبيد ايضاً كتاباً في الامثال .

ويبدو ان كتابا آخر في التاريخ وضع في العصر الاموي ، هو كتاب التيجان المنسوب لوهب بن منبته .

الا ان اعظم انجاز اموي علمي انما جاء مع بدء تدوين الاحاديث النبوية الشريفة ، فقد استدعى ذلك أقصى درجات الحرص في تحقيق النصوص ، حتى كان المحدث يشد الرحال من العراق الى اليمن ، ليتأكد من صحة حديث سمعه . لقد أفضى هذا الى وضع اسس تحقيق النصوص والاسانيد والوثائق ، وتحقيق الوثائق سماه العرب علم الشروط ، ومن ذلك جاءت كلمة **Chartar** وهذا الحرص في تحقيق النصوص والاسانيد والوثائق أرسى قواعد الامانة العلمية ، التي هي ركن هام من اركان النهج العلمي ، هذا بالاضافة الى ما استتبع من تحقيق سيرة الرسول والغزوات والفتوحات ، مما كان باكورة الانتاج التاريخي في العصر العباسي .

ولقد انعكست هذه الامانة العلمية على اعمال النقل . جاء في الفهرست (الصفحة ٣٨) نقلا عن احمد ابن عبد الله بن سلام ، مولى هرون الرشيد ، انه ترجم من العبرانية واليونانية ولغة الصابئة ، الى العربية ، قال : « ترجمت . . الى اللغة العربية ، حرفا حرفا ، ولم أبتغ في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه ، مخافة التحريف ، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته ، ولم أنقص ، الا ان يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب ، فلا يستقيم لفظه ، في النقل الى العربية ، الا ان يؤخر ، ومنه ما هو مؤخر لا يستقيم ان يقدم » .

كان ما ترجمه ابن سلام نصوصا دينية تقتضي هذه الحرص ، ولكن الحرص انعكس ايضا على الانتاج الفكري الاسلامي امانة علمية محمودة ظل الكتاب يتحلون بها ، الى ان فقدوها في سني التقهقر ، ومن أسف ان الغرب لم يتنبه لاهميتها ، او لم يعد اكتشافها ، الا متأخرا ، في القرن العشرين .

ولقد جاء الاسلام بركن آخر من اركان النهج العلمي ، ذلك هو قبول التجربة دليلا علميا ، وقد كان الفكر الاغريقي لا يقبل الا الدليل العقلي الاستنتاجي . فان روجر بيكون الذي يعده الغرب رسول مبدا التجربة لم يبتكر هذا المبدأ ، وانما تلقاه من اساتذته العرب في مدارس الاندلس ، فكان دخوله الى اوربا مدعاة قلق كبير انجلي عن صراع مرير بين العلم والدين . وانجلي هذا الصراع عن انتصار مبدا التجربة الذي جاء به الاسلام سبيلا بدهيا للتعرف على نعم الله وآلائه ، ولكن لعل هذا أولى به حديث آخر .